﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٥﴾ [آل عمران: 95]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الإخبار عن ملّة إبراهيم، وعلاقته ببطلان دعاوى اليهود الضّالّين

لَمَّا ذكر الله تعالى في الآية السَّابقة، كذب اليهود فيما ادَّعوه، بعد أن تحدَّاهم أن يثبتوا ذلك من التَّوراة؛ أمَرَ الله نبيَّه ﷺ، أن يقول لهم: صدق الله، أي: فيما أخبر به عن ملَّة إبراهيم وبنيه عليهم السلام، ومنهم يعقوب، وأنَّهم كانوا جميعًا على ملَّة الإسلام الَّتي عليها النَّبي ﷺ والمؤمنون معه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: قال الرّاغب: "الملّة هي: الدّين، وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصّلوا به إلى جوار الله، غير أنّ الملّة لا تستعمل إلّا في جملة الشّرائع دون آحادها، ولا تضاف إلّا إلى النّبيّ، تسند إليه نحو: ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد أمّة النّبيّ، فلا يقال: ملّة الله، ولا ملّتي، ولا ملّة زيد كما يقال: دين الله، وديني، دين زيد"[1].

2) ﴿حَنِيفٗاۖ﴾: اسم فاعل من الحَنَف، وهو الاستقامة، أو الميل عن الضَّلال إليها، ومن الثَّاني قيل للمائل الرِّجْل: أحنف، وقيل: بل قيل له ذلك؛ تفاؤلًا باستقامة رِجْله، أي: على المعنى الأوّل، "ويقال: سمّي الأحنف بن قيس به، لحنف كان في رجله، وقالت حاضنة الأحنف:

وَاللهِ لَوْلَا حَنَفٌ بِرِجْلِهِ ***مَا كَانَ فِي فِتْيَانِكُمْ كَمِثْلِهِ

والسّيوف الحنفيّة تنسب إليه، لأنّه أوّل من عملها، أي: أمر

(1) الرّاغب، المفردات: (ملل).

باتّخاذها، وهو في القياس: سيف أحنفيّ"[1]. والمراد بها في الآية: مستقيمًا على ما شرعه الله تعالى، أو مائلًا عن الأديان الباطلة إلى الدِّين الحقِّ[2]."والحنيف في قولٍ: المسلم الّذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملّة إبراهيم حنيفا مسلما. والقول الآخر: الحنيف كلّ من أسلم في أمر الله، فلم يلتو في شيء منهُ[3]، "وقال الأخفش: الحنيف المسلم، وكان في الجاهليّة يقال لمن اختتن وحجّ البيت حنيف؛ لأنّ العرب لم تتمسّك في الجاهليّة بشيء من دين إبراهيم، غير الختان وحجّ البيت، فكلّ من اختتن وحجّ قيل له حنيف، فلما جاء الإسلام عادت الحنيفيّة، فالحنيف المسلم"[4].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

قلْ – أيُّها النّبيُّ ﷺ – لليهود: ظهر صدق الله تعالى فيما أخبر به من أن كلَّ الطَّعام كان حلالًا لبني إسرائيل إلَّا ما حرَّم إسرائيل على نفسه، وفي جميع ما أخبر على لسان نبيِّه ﷺ، فاتَّبعوا دين إبراهيم، فقد كان مائلًا عن الأديان كلِّها إلى دين الإسلام، ولم يكن من المشركين، " أي اتّبعوا منهاجه وشرعته وطريقته، وقد كان طريقه هو طريق الفطرة السّليمة، ولذلك وصفه بقوله ﴿حَنِيفًا﴾، أي متّجها إلى الحقّ لَا ينحرف عنه إلى غيره، ولا يسلك غير سبيل المؤمنين، يجيب داعي الحقّ إذا دعي إليه"[5].

الدّعوة إلى اتّباع ملّة إبراهيم الدّاعية إلى الحنيفيّة، والنّائية عن الشّرك

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

سرُّ التَّعبيرِ بصدق الله تعالى لا بكذبِ اليهودِ:

آثرتِ الآيةُ التَّعبير عن كذبِ اليهودِ بقوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ

(1) الخليل، العين: (حنف).
(2) الرّاغب، المفردات: (حنف)، والزَّبيديُّ، تاج العروس: (حنف).
(3) الخليل، العين: (حنف).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (حنف).
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1319.

ﱡﱠ دون الإخبار المباشرِ؛ فلم يُقل: قل كذب اليهود، وذلك لبيانِ أنَّ قوله هو الصِّدق، وفي إخباره بذلك بعد ما تقدَّم من تحدِّي اليهود وذمٍّ من يفتري على الله الكذب تعريضٌ بكذب اليهود في دعواهم: بأن ما حُرِّم عليهم إنَّما كان محرَّمًا على الأنبياء من قبل؛ إذ الحكمُ بصدق أحد الخبرين المتنافيَين؛ يلزم منه كذبُ الخبر الآخر، والمعنى: صدق الله فيما أخبر به، وأنزله في كتبه، وكذبتم أيُّها المدَّعون[1].

بيانُ الغايةِ في إظهارِ الحقِّ، والتَّعريضِ بالكاذبين

فائدةُ التَّعبير بالاسم العظيم:

في إسناد الصِّدق إلى الله تعالى بلفظ الجلالة في قوله تعالى: ﱡﱠ إسباغ الجلال على الخطاب، وتربية المهابة في قلوب المخاطبين؛ لما يقتضيه الاسم العظيم من معاني الكمال والعِزَّة، فهو أولى من غيره من الأسماء - كالرَّبِّ والخالق - في هذا المحلِّ، فالمعنى: صدق الله الملك الذي له الكمال كلُّه في ما أخبر[2]، ولبيانِ أنَّ الله هو الذي أنزل التَّوراةَ، وأرسل الرسلَ، فهو صاحبُ القولِ الحقِّ، والكلامِ الصِّدقِ.

التَّصريحُ بأنَّه الحقُّ، والتَّعريضُ بمن خالفَه

دلالة الفاء في: ﱡﱠ:

الفاء في قوله تعالى: ﱡﱠ: للتَّفريع والسَّببية، فجُعل ظهور صدق الله تعالى أصلًا وسببًا لِمَا بعده من الأمر باتِّباع ملَّة إبراهيم عليه السلام وهي نفسها ملَّة سيِّدنا محمَّد ﷺ فكأنَّه قيل: ما دام قد ظهر لكم صدق الله؛ فعليكم - أيُّها المخاطبون من أهل الكتاب - أن تتَّبعوا ما أنزله على أنبيائه؛ فإنَّ اتِّباع الصِّدق منجاةٌ من الخطر[3].

مقتضى تصديقِ الله هو اتِّباع رسله

(1) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 1/386، والبيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 2/28.
(2) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 5/4.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/59، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/11.

بلاغةُ الإطنابِ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾:

التَّعريضُ بمن تركَ اتِّباعَ الأنبياءِ وأطاعَ الأحبارَ من دونِ الله

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ إطنابٌ؛ فهو تذييلٌ متضمِّن لما تقدَّم ذكره من حنيفيَّة إبراهيم عليه السلام، وهي استقامته على دين الله تعالى، أو ميله عن جميع الأديان إلى دين الله، فهو توكيد لهذه الحنيفيَّة بذكر رأس الأمر فيها، وهو توحيد الله تعالى، ونبذُ الشِّرك به[1]، وفيه تعريضٌ باليهودِ الذين خرجوا عن ملَّته عليه السلام، ووقعوا في الشِّركِ التَّشريعيِّ، باتِّباعِ أحبارِهم وتركِ أنبيائهم، فاتَّخذَ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، فكأنَّه قيل لهم: إنَّ دينكم ليس هو دين إبراهيم كما تزعمون؛ إذ إنَّ إبراهيم لم يكن مشركًا، بينما أنتم مشركون بتقليدكم أحبارَكم الَّذين يدعونكم إلى ضدِّ ما يدعوكم إليه الله تعالى[2].

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 2/221، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/11.
(2) الرَّاغب، تفسير الرَّاغب: 2/742، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 3/266.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»